مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الثاني ـ المجلد التاسع والثلاثون

بغـــــداد ٦٤

ذو القعدة ١٤٠٨هـ ـ حزيران ١٩٨٨م

الفهرس

غاية المراد

في معرفة إخراج الضاد

تأليف

شمس الدين بن النجار

المتوفى سنة ٨٧٠ هـ

تحقيق

الدكتور طه محسن

كلية الآداب — جامعة بغداد

المقـدمة

— ١ —

مما لاشك فيه أن أكثر الدراسات في العلوم العربية الاسلامية قامت أول ماقامت خدمة للقرآن الكريم ، ومقترنة به . يصح هذا القول على العلوم اللغوية والشرعية . كما ينطبق على غيرها من العلوم . ولكن الدراسات الانسانية منه أقرب .

وقد ترك لنا الباحثون في العصور المختلفة مصنفات كثيرة في هذا الجانب تعيي أي جهد فردي أن يستوعبها على وجه الحصر والاحصاء ، لأن هذه الدراسات توسعت منذ نشأتها ولحد الآن ، وتشعبت اطرافها وتعددت الموضوعات التي تدخل في نطاقها ، وتوزعت مخطوطاتها في مكتبات الخافقين .

ومن الموضوعات القرآنية التي استأثرت بالبحث والدرس موضوع (الحروف) بأنواعها المختلفة . إذ تصدى العلماء لدراستها من الوجهة اللغوية ، والدلالة النحوية ، وبيان ما يترتب أحيانا على ذلك من أحكام شرعية ، واستنباطات فقهية .

وكان لحرفي (الضاد والظاء) نصيب من هذه البحوث التي سلك المؤلفون فيها اتجاهين :

الأول : معجمي لغوي ، يقوم على استقراء الألفاظ الضادية والظائية في الذكر الحكيم ، وتفسير معانيها ، أو الاكتفاء بتعيين نوع واحد منها . وغالبا ما يكون « الظاء » تمييزا له من « الضاد » .

ووصل الينا من هذا النوع مصنفات عدة منها :

– الظاءات في القرآن الكريم ، لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) (١) .

– وشرح ظاءات القرآن ، لاسماعيل بن أحمد التجيبي (ت ٤٤٥ هـ) (٢) .

– وشرح منظومة الظاءات القرآنية ، لعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) (٣) .

والاتجاه الثاني : صوتي ، يبحث في نطق الحرفين ، وبيان مخرجيهما ، وصفاتهما ، وتجويد أداء ألفاظهما عند التلاوة ، والتأكيد في مصنفات هذا النوع يكون في الغالب على حرف « الضاد » الذي يعسر على الكثير بن أداؤه على الوجه الصحيح . ويأتي في خلال هذه المباحث التنبيه على ما يلتبس به من الأحرف ، واشهرها الظاء .

وللعلماء في هذا الجانب جملة مصنفات . وممن ألف فيه قبل ابن النجار :

– أبو عمرو الداني . له : الفرق بين الضاد والظاء (٤) .

– وعيسى بن عبدالعزيز اللخمي الاسكندري (ت ٦٢٩ هـ) . له : المراد في كيفية النطق بالضاد (٥) .

---

(١) طبع في الرياض عام ١٩٨٥ م بتحقيق الدكتور علي حسين البواب .

(٢) مخطوط في خزانة المدرسة العليا للغة العربية برباط الفتح ضمن مجموع رقمه ٧/٥٤٠. (ينظر : أسماء الكتب المحفوظة في خزانة المدرسة العليا ص ٢٧٣) .

(٣) مخطوط في مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة برقم ٣٩ علوم القرآن – مجاميع . (ينظر : كتب الضاد والظاء عند الدارسين العرب ، للدكتور محمد جبار المعيبد ص ٦٠١).

(٤) مخطوط في خزانة علال الفاسي بالرباط (المغرب) برقم ٦٧٤ مجموع . (أخبرني عنه الدكتور الفاضل عبد العلي الودغيري من المغرب) .

(٥) ذكره السيوطي في بغية الوعاة ٣٦/٢ ، والبغدادي في هدية العارفين ٨٠٨/١ .

– وعلي بن محسن الصعيدي الأزهري (ت ٧٣٦ هـ) . له : فتوى في مسألة الضاد (٦) .

ثم تلاهم شمس الدين بن النجار الذي رأى الناس في عصره لا يحسنون إخراج الضاد من موضعه الصحيح . فالزيالع ، وهم جيل من السودان المسلمين في طرف ارض الحبشة ، يخرجونها كاللام المفخمة . وأكثر الشاميين وبعض أهل المشرق ، يخرجونها ظاء معجمة .. وأكثر المصريين وبعض أهل المغرب ، يخرجونها ممزوجة بالدال ، او بالطاء المهملة ، فيصير لفظها إذا تحقق في السمع قريباً من لفظ الدّال والطّاء .

وهذا لا يجوز لمن يتلو كتاب الله تعالى لمخالفة المعنى المقصـــود من الآيات أحياناً . فمن يقرأ قوله تعالى : (ولا الضّالّين) (٧) بالظّاء القائمة ، فانه يصيرِّ المعنى : الدائمين ، في حين أنّ المقصود هو من « الضلال » الذي هو ضد الهدى ، وهكذا .

ولذا كتب في الضاد « ليعلم بذلك التالي لكتاب الله تعالى والمجود له معرفة التلفظ بهذا الحرف الصعب الذي قد اعيا كثيراً من الناس إخراجه »(٨) .

سجل المؤلف في الصفحات الأولى من الرسالة الظواهر الصوتية المخالفة للنطق الصحيح لحرف الضاد في عصره،وحلل اسبابها ، وردّ علىمرتكبيها ، مؤيداً كلامه بالشواهد والأدلة من كلام العلماء .

ثم انتقل الى موضوع الرسالة وهو (معرفة التلفظ بهذا الحرف الصعب) ، وحصره في مسألتين :

---

(٦) مخطوط في مكتبة الغازي خسرو بك بسراييفو (يوغسلافيا) برقم ١٤/٢٦٢٦ (ينظر : فهرس المخطوطات العربية . . . في مكتبة الغازي خسرو بك ١/١٠٠) .

(٧) سورة الفاتحة ٧/١ .

(٨) غاية المراد : الورقة ٢٤ ظ .

جعل الأولى في بيان معرفة مخرج الضاد منبهاً على كيفية النطق به ، ومشيراً الى أنه من الحروف التي انفرد العرب بها .

وتكلم في الثانية على صفاته ، فذكر أنّ له من صفات القوة اربعاً : هي : الاستعلاء ، والاستطالة ، والإطباق ، والجهر . وله من صفات الضعف الرخاوة . وعرف بإيجاز بكل واحدة منها .

واختتم كلامه بالاشارة الى أن حقيقة إتقان النطق بالحروف إنما يحصل « برياضة اللسان ، وكثرة التكرار . وأصل ذلك التلقي عن اولي الاتقان ، والأخذ عن أئمة هذا الشأن » (٩) .

وبناء على هذا ، اعتمد عند التأليف الطريق الأصح في تحقيق القراءة وتجويد لفظها ، وهو « التلقي عن الأشياخ مشافهة وبحثاً » (١٠) ، علاوة على الإفادة مما وجده في المصنفات المدوّنة التي ذكر منها في البحث :

- منظومة « عمدة المفيد وعمدة المجيد » لعلم الدين السخاويّ (ت ٦٤٣ هـ) .
- ومنظومة « الواضحة في تجويد الفاتحة » لبرهان الدين الجعبري (ت ٦٣٢ هـ) .
- ومنظومة « حرز الأماني ووجه التهاني » المعروفة بـ « الشاطبية » لأبي محمد الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) .

ووجدت المؤلف أفاد من مصادر أخر لم يشر اليها ، وهي :

- « شرح الواضحة في تجويد الفاتحة » لحسن بن قاسم المُرادي (ت ٧٤٩ هـ) .
- و « شرح عمدة المفيد وعمدة المجيد » للمُرادي أيضا .
- و « التمهيد في علم التجويد » ، لمحمد بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) .

(٩) غاية المراد : الورقة ٢٦ و .
(١٠) غاية المراد : الورقة ٢٤ ظ .

وقد عيّنت في الهوامش التي اثبتها على المتن المحقق المواضع التي نقل منها ابن النجار من هـذه المصادر .

إنّ الرسالة التي أقدمها محققة : هي أول مصنف يطبع في العالم العربي (١١) من المصنفات المستقلة في دراسة حرف الضاد من الوجهة الصوتية . وقد جمع فيها المؤلف مادة الموضوع من مصادر متنوعة مكتوبة ومسموعة ، ورتبها ترتيبا سهل المأخذ ، وعرضها بأسلوب بعيد عن التعقيـــد . وهي الى ذلك تمثل مرحلة في الدرس اللغوي من الجانب الصوتي. وقد سجل لنا المؤلف فيها ظاهرة لغوية في عصره (القرن التاسع الهجري) هي اختلاف الناس في طريقة نطقهم حرف الضاد ، وتعدد مخارجه عندهم وقتذاك . وهي ملاحظة ، وان سُبق اليها ، تؤكد ما سجله العلماء قبله في بعض المصنفات .

— ٢ —

أما مؤلف الرسالة فهو (١٢) محمد بن احمد بن داوود المقرىء ، المشهور بابن النجار . كنيته أبو عبدالله ، ولقبه شمس الدين الدمشقي الشافعي .

ولد سنة ٧٨٨ هـ تقريباً ، ولا نعرف شـــيئاً كثيراً عن حياته ، ولكن يبدو أنه أخذ العلم من شيوخ عصره في دمشق ، وذكروا من هؤلاء : صدقة بن سلامة الضرير المقرىء (ت ٨٢٥ هـ) ، أخذ عنه القراءات . ولما برع فيها تصدر لها بجامع بني امية وغيره مفيداً التلامذة والطالبين .

(١١) أقول في العالم العربي لأن هناك إشارة في معجم المطبوعات العربية والمعربة (١/١٩٧ و ٣٠٥) الى أن « بغية المرتاد لتصحيح الضاد » لابن غانم المقدسي (ت ١٠٠٤ هـ) طبع في الهند سنة ١٣٠٥ هـ مع كتاب المقابسات ، لأبي حيان التوحيدي (ت ٣٨٠ هـ) . ولم أتمكن من العثور على هذه النشرة .

(١٢) ينظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، لشمس الدين السخاوي ٣٠٨١٦ ، والأعلام ، للزركلي ٥ / ٣٣٤ ، ومعجم المؤلفين ، لكحالة ٨/٣٥٩ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم القرآن) ج ١ ص ١١٠ و١٧٠ و ١٩٩ و ٣٧٧ و ٤٧٢ .

مهرَ ابن النجار ، مع تقدمه بعلم القراءات ، الحسابَ ، وكان له مجلس يعظ فيه الناس بجامع يلبغا بدمشق .

توفي سنة ٨٧٠ هـ بعد ما خلف مصنفات مفيدة تحتفظ المكتبات بالآتي منها :

١ — الافهام في شرح باب وقف حمزة وهشام . منه مخطوطتان في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ٥٩٨٧ و٣٧١٤ .

٢ — التكبير في ختم القرآن . منه مخطوطة في المكتبة المذكورة برقم ٥٩٨٧ .

٣ — جواب مسألة في قراءة قوله تعالى : (وجعلناهم أيمة) بالياء الخالصة . منه مخطوطة في مكتبة أسعد أفندي برقم ٣٦٣٩ .

٤ — الرد المستقيم على ما تفعله بعض الأعاجم من تحريك الميم . منه مخطوطة في مكتبة أسعد أفندي برقم ٣٦٣٩ واخرى في دار الكتب الظاهرية برقم ٥٩٨٧ .

٥ — السكت والغُنّة . منه مخطوطة في مكتبة أسعد أفندي برقم ٣٦٣٩ .

٦ — غاية المراد في معرفة اخراج الضاد . وهو الرسالة المحققة .

٧ — نثر الدرر في معرفة مذاهب الأئمة السبعة بين السور . منه مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ٥٩٨٧ .

٨ — وصل الاستعاذة بالبسملة . منه مخطوطة في مكتبة أسعد أفندي برقم ٣٦٣٩

— ٣ —

اعتمدت في اخراج النص على المخطوطة التي تحتفظ بها مكتبة أسعد أفندي باستانبول ضمن مجموع رقمه ٣٦٣٩ يشتمل على المصنفات الآتية :

١ — المفيد في علم التجويد (أرجوزة) لأحمد بن أحمد الطيبي (ت ٩٧٩ هـ) .

٢ — بلوغ الأماني في قراءة ورش من طريق الأصبهاني . (أرجوزة) للطيبي أيضاً .

٣ — تحفة المَلاَ في مواضع كلاّ (أُرجوزة) لأبي بكر بن المحلي (ت ٦٧٣ هـ).

٤ — المبينة في تحقيق الهمز (أُرجوزة) لابن عبد الحق ابراهيم بن علي (ت ٧٤٤هـ)

٥ — الرد المستقيم على ما تفعله بعض الأعاجم من تحريك الميم . لابن النجار .

٦ — وصل الاستعاذة بالبسملة ، لابن النجار .

٧ — جواب مسألة في قراءة قوله تعالى : (وجَعَلْناهُمْ أيِمَّةً) ، بالياء الخالصة ، لابن النجار .

٨ — مسألة السكت والغُنّة ، لابن النجار .

٩ — مسألة « الآن » منقولة من كتاب (النشر في القراءات العشر) لمحمد بن الجزَري) .

١٠ — الغاز شعرية في علم التجويد .

١١ — غاية المراد في معرفة اخراج الضاد ، لابن النجار .

١٢ — القواعد والاشارات من أصول القراءات ، لابن أبي الرضا الحَمَوِي (ت ٧٩١ هـ) .

وهذه المصنفات كتبت بقلم ناسخ واحد لم يذكر اسمه ، بخط النسخ المعتاد الواضح ، وتأريخ كتابة آخر رسالة منها هو شهر شوال سنة اربعين ومئة وألف .

وتقع الرسالة المحققة في سبع صفحات من المجموع من الورقة (٢٣ و) الى الورقة (٢٦ و) .

ولم أجد صعوبة في قراءة النسخة التي اعتمدتها ، فهي واضحة الخط ، جيدة الحرف ، خالية من التحريف . وهذا أعانني على أن أخرج الرسالة على نسخة واحدة بعد أن اعياني أمر الحصول على نسخة أُخرى أو أكثر من النسخ الثلاث التي تحتفظ بها مكتبة دار الكتب الظاهرية في دمشق ضمن مجموع رقمه

٥٩٨٧ (١٣) ، ومكتبة دار الكتب الشعبية (كيريل وميثودي) بصوفيا برقم مج ١٦١٣ (١٤) ، ومكتبة جامعة برنستون (مجموعة يهودا) برقم ٤٣٤٦(١٥).

★ ★ ★

أما نسبة « غاية المراد» الى شمس الدين بن النجار فلم أجد ما يشكك فيها من قريب او بعيد ، فقد ثبت اسم هذا المؤلف على مخطوطات الرسالة الاربع التي بقيت منها ، وهي متفرقة في انحاء شتى من العالم ، في استانبول ، ودمشق ، وصوفيا ، وجامعة برنستون . وكذلك اشار اليها الحاج خليفة في كشف الظنون ١١٩٣/٢ ونسبها الى ابن النجار .

هذا وقد سرت في التحقيق على وفق الطريقة العلمية المعهودة التي ارتضاها أصحاب هذا الفن ، وسجلوا خطواتها في مصنفاتهم في قواعد تحقيق النصوص المكتوبة ونشرها ، مع الافادة من تجاربي في هذا الميدان . لذلك لم أجد بي حاجة هنا الى شرح ما قمت به . وما في الهوامش من التعليقات الواضحة على النص ، يغني عن الإطالة .

والله الموفق للصواب .

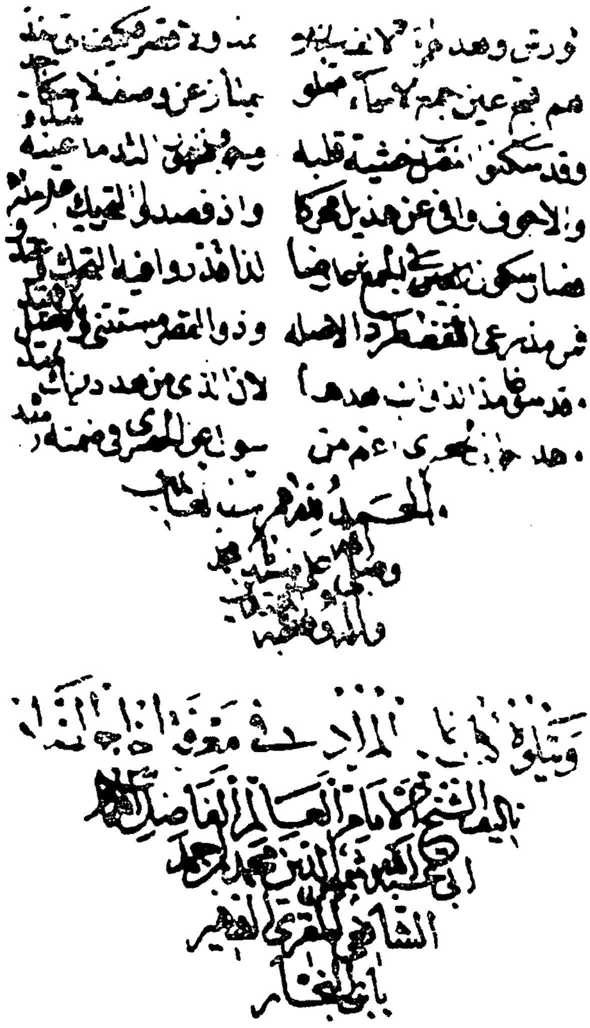
---

(١٣) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم القرآن) الدكتور عزة حسن ص ٤٤ .

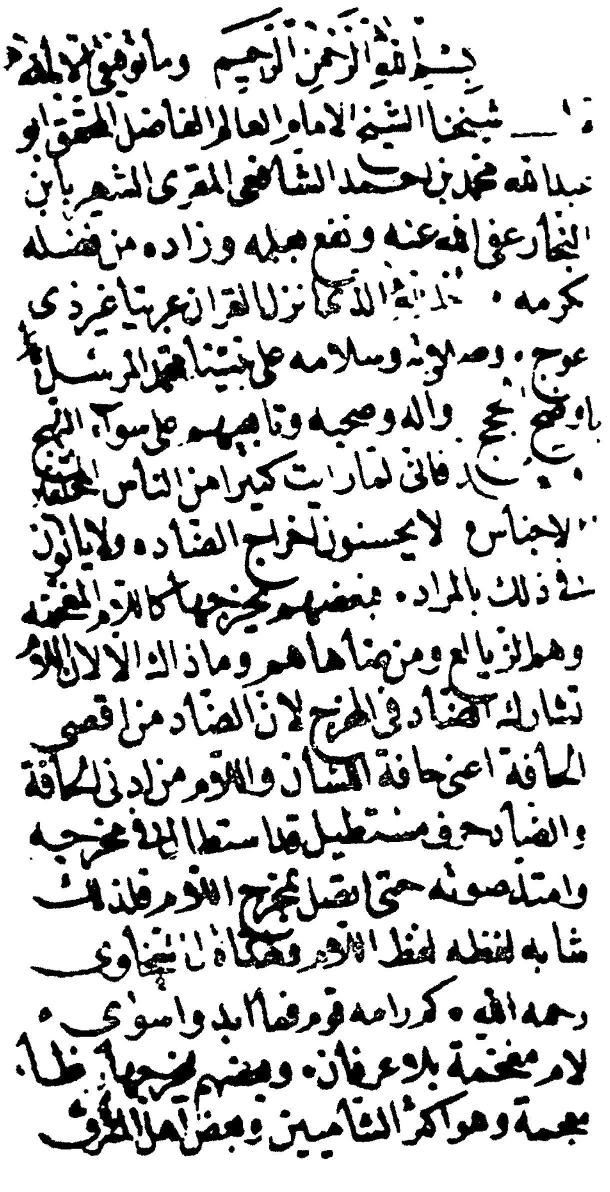
(١٤) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، الدكتور غانم قدوري ص ٣٨ .

(١٥) كتب الضاد والظاء عند الدارسين العرب ص ٦١٤ .

صفحة العنوان من مخطوطة الرسالة



الصفحه الاولى من محطوطه الرسالة



بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله
قال شيخنا الشيخ الامام العالم الفاضل المحقق ابو
عبد الله محمد بن احمد الشافعي المقرى الشهير بابن
النجار عفا الله عنه ونفع به وزاده من فضله
وكرمه . الحمد لله الذي انزل القران عربيا غير ذي
عوج . وصلواته وسلامه على نبينا محمد المرسل
باوضح نهج واله وصحبه وتابعيهم على سواء النهج
وبعد فاني لما رايت كثيرا من الناس المختلفة
الاجناس لا يحسنون لمخرج الضاد ولا ياتون
في ذلك بالمراد . فبعضهم يخرجها لاما مفخمة
وهم الزيالع ومن ضاهاهم وما ذاك الا لان اللام
تشارك الضاد في المخرج لان الضاد من اقصى
الحافة اعني حافة اللسان واللام من ادنى الحافة
والضاد حرف مستطيل قد استطال الى مخرجه
وامتد صوته حتى اتصل بمخرج اللام فلذلك
شابه لفظه لفظ اللام وحكاه السخاوي
رحمه الله . كراهة قوم قد ابدوا واسوى .
لاما مفخمة بلا عرفان . وبعضهم يخرجها ظاء
معجمة وهو اكثر الشاميين وبعض اهل المشرق

الصفحة الأخيرة من مخطوطة الرسالة

فيجب على القارئ أن يلفظ بها كما يلفظ بها إذا كان يحكي
الحروف في قوله ص د ض د وهذا هو الصحيح المعقول
المقبول الذي لا يجوز غيره ومن عدل عن ذلك كان
مغيراً لمخرج هذا الحرف وصفته فكيف يزعم من يخرجها
ممزوجة بالدال أو بالظاء أن ذلك صواب فإذا أردت
فصلها عن اللام المفخمة فراع مبدأ مخرجها وبين
صفاتها فبذلك يفترقان وإذا أردت فصلها عن
الظاء المعجمة فأخرجها من مخرجها وبين استطالتها
فبذلك يفترقان وإنما يحصل لك ذلك برياضة اللسان
وكثرة التكرار وأصل هذا التلقي عن أهل الإتقان
• والأخذ عن أئمة أهل هذا الشأن قال الإمام
الجليل الحافظ أبو عمرو الداني رحمه الله تعالى ينبغي للقارئ
أن يأخذ نفسه بتفقد الحروف التي لا يوصل إلى حقيقة
اللفظ بها إلا بالرياضة الشديدة والتلاوة الكثيرة
مع العلم بحقائقها والمعرفة بمنازلها فيعطي كل حرف منها
حقه من مخرجه وصفته المستحقة له والمماثل فإذا
راعيت ما قلته وذكرت لك من مخرجه وصفته
حصل لك المراد • وهذا ما يسره
الكريم الجواد من الكلام على
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وصلواته وصلاته على خاتم أنبيائه ... [illegible]

[٢٣ ظ] بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي الا بالله

قال شيخنا الشيخ الإمام العالم الفاضل المحقق أبو عبدالله محمد بن أحمد الشافعي المقرىء الشهير بابن النجار ، عفا الله عنه ونفع بعلمه وزاده من فضله بكرمه :

الحمد لله الذي انزل القرآن عربيا غير ذي عوَج ، وصلواته وسلامه على نبينا محمد المرسل بأوضح الحجج ، وآله وصحبه وتابعيهم على سواء النهج .

وبعد ، فاني لما رأيت (١) كثيراً من الناس المختلفين الأجناس لا يحسنون إخراج الضاد ، ولا يأتون في ذلك بالمراد :

فبعضهم يخرجها كاللام المفخمة ، وهم الزيالع ومن ضاهاهم (٢) .

وما ذلك إلا لأنّ اللام تشارك الضاد في المخرج ؛ لأنّ الضاد من أقصى الحافّة ، أعني حافّةَ اللسان (٣) ، واللامَ من أدنى الحافّة . والضادُ حرف مستطيل قد استطال في مخرجه وامتد صوته حتى اتصل بمخرج اللام ، فلذلك شابه لفظُه لفظ اللام .

---

(١) جواب « لما رأيت » هو « استخرت الله » مؤخر في آخر الورقة « ٢٤ ظ » بعد « لما » المكررة .

(٢) التمهيد في علم التجويد ، لابن الجزري ص ١٣٠ . والزيلع : جيل من السودان في طرف أرض الحبشة ، وهم مسلمون . ينظر : معجم البلدان ، لياقوت ٢ / ٩٦٦ - ٩٦٧ .

(٣) هذا الذي ذكره المؤلف عن مخرج الضاد هو الوارد في شرح عمدة المفيد ، للمرادي (الورقة ٣٠ ظ مخطوط) إذ قال : (لأن الضاد من أقصى الحافة ، واللام من أدنى الحافة . . .) وهو خلاف المشهور الذي هو (أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس) نص عليه سيبويه (الكتاب ٤/٤٣٣) وسيذكره ابن النجار فيما يأتي (الورقة ٢٥ و) .

ولهذا قال السخاوي (٤) رحمه الله :

كم رامه قومٌ فما أبدَوْا سِوَى لامٍ مُفَخّمة بلا عِرْفانِ (٥)

وبعضهم يخرجها ظاء معجمة ، وهم (٦) أكثر الشاميين ، وبعض أهل المشرق (٧) .

[٢٤ و] وهذا لا يجوز في كلام الله تعالى ، لمخالفة المعنى الذي اراده الله تعالى ، فلو قال : (ولا الضّالّين) (٨) بالظاء القائمة كان معناه : الدائمين .

وهذا خلاف مراد الله سبحانه وتعالى . وهو مبطل للصلاة على المشهور من مذهب الشافعي ، رحمه الله تعالى (٩) لأن الضّلال ، بالضاد ، هو ضد الهدى ، كقوله تعالى : (ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إلاَّ إيّاهُ) (١٠) ، وكقوله تعالى : (إنّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثيراً من النّاسِ) (١١) .

فمثال الذي يجعل الضاد ظاء ، شِبْهُ الذي يجعل السين صاداً في نحو قوله [تعالى] : (وأسرُّوا النَّجوَى) (١٢) . (وأصَرُّوا

---

(٤) علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) . له منظومة « عمدة المفيد وعدة المجيد » في علم التجويد التي نقل منها المؤلف هنا . ينظر : معجم المؤلفين ٢٠٩/٧ .

(٥) عمدة المفيد (بشرح المرادي) الورقة ٢٩ و (مخطوط) . وقبل هذا البيت قوله :
والضاد عال مستطيل مطبق جهر يكل لديه كل لسان
حاشا لسان بالفصاحة قيم ذرب ، لأحكام الحروف معاني

(٦) في المخطوط : وهو . وما أثبته هو أسلوب المؤلف في غير هذا الموضع . وينظر : الورقة (٢٣ ظ) و (٢٤ ظ) .

(٧) التمهيد في علم التجويد ص ١٣٠ .

(٨) (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) الفاتحة ٦/١ — ٧ .

(٩) شرح الواضحة في تجويد الفاتحة ، للمرادي ص ٦٣ .

(١٠) الاسراء ١٧ / ٦٧ : (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) .

(١١) ابراهيم ٣٦/١٤ : (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس) .

(١٢) الانبياء ٣/٢١ : (وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم) .

واستكبَرُوا) (١٣) فإنَّ الأول معناه « الاسرار » الذي هو ضد الجهر ، والثاني من « الإصْرار » (١٤) .

فلو أبدلَ السين صاداً ، والصّادَ سيناً ، في هذا وشبهه ، لكان مغيّراً لمعنى ما أراده الله عزّ وجلّ .

لكن مذهب مالك رحمه الله : أنّ من لا يميّز بين الضاد والظاء للكُنْتَه ، تصحّ صلاته وإمامته (١٥) .

وكذلك قال الإمام الجليل المحقق العلامة الجَعْبري رحمه الله (١٦) في منظومته التي في تجويد الفاتحة :

... وجُوِّزتْ لعاجز [حال] ضمن وجهٍ مبعَّدِ (١٧)

فان أمكنه أن يتعلم التميز بينهما ، فالظّاهر أنه غير معذور (١٨) .

قلت : وبعضهم يخرجها ممزوجة [٢٤ ظ] بالدّال أو بالطّاء المهملة ، فيصير لفظها إذا تحقق في السمع قريبا من لفظ الدال والطّاء (١٩) ، وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب (٢٠) ، ويزعم أنّ هذا هو الصّواب .

وهو خطأٌ محضٌ ، وتبديل فاحش . وإنّما اوقعهم في ذلك عدم أخذهم عن العلماء المحققين ، وممارستهم لمخارج الحروف وصفاتها ، كما قال بعضهم :

(١٣) نوح ٧/٧١ : (واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا) .
(١٤) التمهيد في علم التجويد ص ١٣٠ - ١٣١ .
(١٥) شرح الواضحة في تجويد الفاتحة ، للمرادي ص ٦٣ .
(١٦) برهان الدين ابراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢ هـ) له : « الواضحة في تجويد الفاتحة » وهي المنظومة التي نقل عنها المؤلف هنا . ينظر : غاية النهاية ، لابن الجزري ٢١/١ .
(١٧) الواضحة في تجويد الفاتحة (ضمن شرح المرادي) ص ٦٢ . وما بين المعقوفتين زيادة منه . والبيت بتمامه :

ولا تكسه لاماً وظاء وجوزت لعاجز حال ضمن وجه مبعد

(١٨) شرح الواضحة ، للمرادي ص ٦٣ .
(١٩) في المخطوط : والظاء . تصحيف .
(٢٠) أشار الى هذه الظاهرة ابن الجزري في التمهيد ص ١١٣ ولكنه لم يذكر لفظ الدال .

« ما منعهم من الوصول ، إلا تضييع الأصول ، فلما قصروا في العمل ، لحقهم الزَّلَل » .

وأيضاً فان الضّاد أشد الحروف صعوبة على اللافظ ؛ لأنه حرف قوي صعب يعسر بيانه على كثير من النـــاس . ولهـــذا قال الشيخ العلامة أبو الحسن علم الدين السخاوي رحمه الله ، في قصيدته المسماة « عمدة المفيد وعدة المجوِّد (٢١) في معرفة التجويد » :

والضاد عـــالٍ مستطيل مطبـــــق
جهرٌ يكِلُ لديه كُلُّ (٢٢) لسانِ

فلما كان كذلك ، استخرت الله تعالى ، وأحببت أن أكتب اوراقا اذكر فيها ما قاله المحققون ، وما تلقيته عن الاشيـــاخ مشـــافهةً وبحثـــاً ؛ ليعلم التالي لكتاب الله تعالى والمجوِّدُ له معرفةَ التلفظ بهذا الحرف الصعب الذي قد أعيا كثيراً من الناس إخراجُه . وقصدت بذلك نفع الإخوان رجاء دعوة تثمر الغفران .

[٢٥ و] فأتكلم اولاً في بيان معرفة مخرج هذا الحرف ، إذ هو الأصل ثم أذكر صفاته التي تميز بها ، موضحاً لذلك إن شاء الله تعالى ، فأقول مستعيناً بالله :

مخرجه من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس . وإليه أشار الشاطبي رحمه الله (٢٣) بقوله :

« . . . وحافة الـ لسان فأقصاها لحرف تطوَّلا » .

(٢١) كذا في المخطوط . والمشهور : المجيد .
(٢٢) في المخطوط : كل كل . وحذفت أحد اللفظين لزيادته . وينظر : عمدة المفيد (بشرح المرادي) الورقة ٢٦ و (مخطوط) .
(٢٣) أبو محمد القاسم بن فيره بن خلف الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) صاحب « حرز الاماني » وهي قصيدته المشهورة في القراءات وتعرف بـ « الشاطبية » . ينظر : غاية النهاية ٢/٢٠ .

الى ما يلي الأضراس .... (٢٤)

فهو من المخرج الرابع من مخارج الفم . وإخراجه من الجانب الأيسر أيسر . وإلى هذا أشار الشاطبي رحمه الله تعالى بقوله :

« . . . . وباليمنى يكون مقلّلا » (٢٥) .

وفي اخراجه من الجانبين صعوبة ، ولذلك (٢٦) قال سيبويه رحمه الله تعالى : إنها تتكلّف من الجانبين (٢٧) . ويحكى عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أنه كان يخرجها من الجانبين (٢٨) .

والى هذا أشار الشاطبي رحمه الله تعالى بقوله :

« . . . . وَهْو لديهما يعزُّ . . . . . » (٢٩)

فاذا اردت معرفة مخرجه فتأتي به ساكناً لا متحركاً ، لأن الحركة تقلق (٣٠) الحرف عن موضعه ومستقره ، وتجذبُه لوجهة الحرف المشابه ، ثم تدخل عليه

---

(٢٤) متن الشاطبية ص ١٧٨ . وتمام الأبيات :

وحرف له أقصى اللسان وفوقه ... من الحنك احفظه وحرف بأسفلا
ووسطهما منه ثلاث وحافة الـ ... ـلسان فأقصاها لحرف تطولا
الى ما يلي الأضراس وهو لديهما ... يعز وباليمنى يكون مقللا

(٢٥) ينظر الأبيات المتقدمة .
(٢٦) في المخطوط : وكذلك . وما أثبته يناسب السياق ، وهو الوارد في شرح الواضحة ص ٥٩ .
(٢٧) هذه عبارة المرادي في « شرح الواضحة » ص ٥٩ . وفي كتاب سيبوية ٤٣٢/٤ : (إلا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر ، وهو أخف ، لأنها من حافة اللسان مطبقة ، لأنك جمعت في الضاد تكلف الاطباق مع إزالته عن موضعه . . .) .
(٢٨) شرح الواضحة ص ٦٠ .
(٢٩) متن الشاطبية ص ١٧٨ . وتقدم ذكر البيت بتمامه
(٣٠) ثبت في حاشية المخطوط : تقلقل .

همزة الوصل مكسورة ؛ لأن الساكن لايمكن الابتداء به ، ثم اصغ اليه ، فحيث انقطع صوته كان مخرجه .

واعلم انه من الحروف التي انفرد بها كلام العرب ، ولا يوجد الضاد في غير لغتهم . ولذلك قال [٢٥ ظ] صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصحمَنْ نَطَقَ بالضّاد » . يعني : أنا أفصح العرب (٣١) .

فليس في طبع العرب والفصحاء أن يخرجوا هذا الحرف مَشُوباً بشيء من الطاء أو الدال ، معاذ الله أن يكون هذا في لفظهم .

وأما صفاته ، ففيه من صفات (٣٢) القوة اربع صفات :

أحدها ــ الاستعلاء . وحقيقته ارتفاع اللسان بالحرف الى الحَنَك (٣٣) .

الثانية ــ الاستطالة . وحقيقتها امتداد الصوت من أول حافَة اللسان الى آخره.

الثالثة ــ الاطباق . وحقيقته أن ينطبق اللسان على الحَنَك عند اللفظ بالحرف.

الرابعة ــ الجهر . وهو منعُ النَّفَس أن يجري مع الحرف ، لقوة الاعتماد عليه (٣٤) .

(٣١) العبارة وردت في شرح عمدة المفيد ، للمرادي ، الورقة ٢٩ ظ (مخطوط) . وينظر : شرح الواضحة ، للمرادي ص ٦٠ . والحديث الشريف مما يتردد ذكره في كتب الضاد والظاء . وفيه قال شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) في المقاصد الحسنة ص ٩٥ : (حديث « أنا أفصح من نطق بالضاد » معناه صحيح ، ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير).

(٣٢) في المخطوط : صفاة . تحريف .

(٣٣) الذي عليه المحققون أن الاستعلاء ارتفاع أقصى اللسان عند النطق بالحرف . ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٢٩١ .

(٣٤) هذا في الأصل ماذهب اليه سيبويه ، إذ قال في الكتاب ٤٣٤/٤ : (فالمجهورة : حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت) . وردد هذه الفكرة من بعد سيبويه علماء العربية ، وعلماء التجويد ، وهو على غير ماذهب اليه المحدثون من الباحثين في أصوات اللغة العربية . فالمجهور عندهم (هو الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به) . ينظر الكلام على الجهر والموازنة بين آراء القدماء والمحدثين لتحديد معناه : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٢٥ - ١٣٩ .

وفيه من صفات الضعف : الرّخاوة . وهي عدم انحصار صوت الحرف عند مخرجه بحيث يجري معه .

واعلم أن صفات الحروف اغمض وأدق من مخارجها . فعليك باتقانها ، فانها مِلاك التجويد .

واعلم أن لفظ الضاد يشتبه بلفظ الظاء المعجمة ، وذلك لأن الظاء يشارك الضـــاد في أوصافه المذكورة غيرَ الاستطالة . فلذلك اشتد شبههه به ، وعسر التمييز بينهما ، واحتاج القارىء في ذلك الى الرياضة التامّة (٣٥) .

قال المحققون : ولولا اختلاف المخرجين ، وما في الضاد من الاستطالة ، لكان لفظهما واحداً ، واتحدا في السمع (٣٦) .

[٢٦ و] فيجب على القارىء أن يلفظ بها كما يلفظ بها إذا كان يحكي الحروف في قوله : صاد ، ضاد .

وهذا هو الصحيح المنقول المقبول ، الذي لا يجوز غيره . ومن عدل عن ذلك ، كان مغيراً لمخرج هذا الحرف وصفته .

فكيف يزعم من يخرجها ممزوجة بالدال او بالطاء أنّ ذلك صواب ؟

فاذا اردت فصلها عن اللام المفخّمة ، فراعِ مبدأ مخرجها ، وبيّن صفاتها . فبذلك يفترقان . واذا اردت فصلها عن الظاء المعجمة ، فأخرجها من مخرجها ، وبيِّن استطالتها ، فبذلك يفترقان (٣٧) .

وإنما يصل لك ذلك برياضة اللسان ، وكثرة التكرار . وأصل ذلك التلقّي عن أُولي الإتقان ، والاخذ عن أئمة هذا الشأن .

---

(٣٥) شرح عمدة المفيد ، للمرادي . الورقة ٣٠ ظ (مخطوط) .
(٣٦) المصدر نفسه .
(٣٧) المصدر نفسه . الورقة ٣١ و .

قال الإمام الجليل الحافظ ابو عمرو الداني (٣٨) ، رحمه الله تعالى : ينبغي للقارىء أن يأخذ نفسه بتفقد الحروف التي لا يوصل الى حقيقة اللفظ بها إلا بالرياضة الشديدة ، والتلاوة الكثيرة ، مع العلم بحقائقها ، والمعرفة بمنازلها ، فيعطي كلّ حرف منها حقّه من مخرجه وصفته المستحقّة له . والله اعلم .

فاذا راعيت ما قُلْتُهُ وذكرته لك من مخرجه وصفته ، حصل لك المراد .

وهذا ما يسر الله الكريم الجواد من الكلام على مخرج الضاد . فنسأل الله العظيم أن يجعلنا من حفاظ كتابه ، وأن يوفقنا لتجويد لفظه ، وتقويم اعرابه .

وصلواته وسلامه على خاتم أنبيائه وآله وأصحابه وأوليائه .

(٣٨) عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) له : التيسير في القراءات السبع وغيره . ينظر : معجم المؤلفين ٦/ ٢٥٤ .

المصـــــادر

- أسماء الكتب المحفوظة في خزانة المدرسة العليا للغة العربية برباط الفتح ، باريس ١٩٢١ م .
- الاعلام (قاموس تراجم) ، خيرالدين الزركلي ، بيروت (ط ٤) ١٩٧٩ م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .
- التمهيد في علم التجويد ، ابن الجزري ، تحقيق الدكتور علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٥ م .
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، الدكتور غانم قدوري حمد ، بغداد ١٩٨٦ م .
- شرح عمدة المفيد وعدة المجيد ، المرادي ، مخطوطة مكتبة بايزيد في استانبول برقم ١٤٧ .
- شرح الواضحة في تجويد الفاتحة ، المرادي ، تحقيق الدكتور عبدالهادي الفضلي ، بيروت (بدون تاريخ) .
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين السخاوي ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .
- عمدة المفيد وعدة المجيد ، للسخاوي = شرح عمدة المفيد ، للمرادي .
- غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري ، نشره برجستراسر ، مصر ١٩٣٢ م .
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق (علوم القرآن) :

أ ــ للدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٦٢ م .

ب ــ لصلاح محمد الخيمي ، دمشق ١٩٨٣ م .

ــ فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية (في مكتبة الغازي خسرو بك بسراييفو ــ يوغسلافيا) قاسم دوبراجا ، سراييفو ١٩٦٣ .

ــ الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (ج ٤) القاهر ١٩٧٥ م.

ــ كتب الضاد والظاء عند الدارسين العرب ، الدكتور محمد جبار المعيبد ، بحث منشور في (مجلة معهد المخطوطات العربية) الكويت : المجلد الثلاثون ــ الجزء الثاني ــ سنة ١٩٨٦ م .

ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، الحاج خليفة ، (وكالة المعارف التركية) ١٩٤١ ــ ١٩٤٣ م .

ــ متن الشاطبية ، الشاطبي ، نشره متولي عبدالله الفقاعي ، مصر (بدون تاريخ) .

ــ معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دمشق ١٩٥٧ م .

ــ معجم المطبوعات العربية والمعربة ، يوسف اليان سركيس ، مصر ١٩٢٨ م .

ــ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، شمس الدين السخاوي ، تحقيق عبدالله محمد الصديق ، القاهرة ١٩٥٦ م .

ــ هدية العارفين ، اسماعيل باشا البغدادي ، استانبول ١٩٥١ م .

ــ الواضحة في تجويد الفاتحة ، للجعبري = شرح الواضحة ، للمرادي .